محاضرة : التناص //في مقياس قضايا النقد المعاصر للسنة 1 ماستر .

من إعداد :الدكتورة فطيمة الزهرة حفري.

تمهيد :

برزت العديد من المصطلحات في الدراسات النقدية العربية ، ولعل أهمها مصطلح التناص ، الذي شهد حالتي مد وجزر بين الباحثين والنقاد . فمنهم من أرجع أصوله إلى مولود غربي ، ومنهم من نسبه للوعي العربي ومفهومه للاحتواء . وقد دخلت في المفهوم عدة مفاهيم أخرى كالسرقات، والحفظ الجيد وغيرها.

ومن الأفكار التي نالت اتفاق الجميع ، أن **التناصية** ظهرت بوادرها في الحقل الروائي أما معيار النقد القديم فانصب على معالجة التجربة الشعرية ومدى تناقلها بين الشعراء وتظهر هذه الخاصية في البيت الواحد أو القصيدة ككل.

1/مفهوم التناص :

كثيرا ما ترجع الأبحاث المصطلح لجذوره المعجمية وهو ما اعتمدناه بعودتنا للمادة المعجمية **للتناص** والذي يعني : ((بالرفع البالغ وهو نص الشيء ينصه نصا : رفعه وأظهره))[1] ونص المتاع : جعل بعضه فوق بعض ، ومنه سميت المنصة لعلوها ، وقد وردت المفردة في المعاجم بمعنى الاتصال ، والازدحام ، والظهور والبروز ، والتراكم والتحريك والخلخلة ، ومن خلال النظر الى هذه المفردات المعنوية أجمعنا على مايلي

فالتناص :

- بمعنى الازدحام أي ازدحم القوم واجتمعوا .
- بمعنى الظهور أي الرفع والإظهار.
- بمعنى الجمع والتراكم : نص المتاع أي جعله فوق بعضه البعض.

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نصص) ، ج1 ، ص97-98

وعليه **فالتناص** معجميا يقوم على التداخل والتحاور والتشارك عبر مجموعة من النصوص المهاجرة إليه والمستقرة فيه وهو ما ينطبق على المفهوم الاصطلاحي في حد ذاته .

2/التناص مفهوما غربيا :

ارتأينا أن نفتتح الحقل المفاهيمي "للتناص" بإرهاصات تعريفية غربية كونها النظرية التأسيسية للمصطلح فقد عرفته **جوليا كريستيفا** بأنه ((التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى وكل نص هو امتصاص لنص آخر وتحويل عنه))[1] ويوافق **رولان بارت** كريستفا فيما ذهبت إليه وتحديدا خاصية الامتصاص والتحويل عندما أثبت الفكرة الرائدة بأن التناص تبادل النصوص أشلاء نصوص دارت أو تدور في فلك نص يعتبر مركزا وفي النهاية تتحد معه ، وتجعله نصا جديدا .

وعليه فالتناص عبارة عن قراءة النصوص في نص آخر وفقا لمبدأ التفاعلية ، وقد اهتمت نظرية التلقي أيما اهتمام بهذا المصطلح، بل جعلته أهم مصطلحاتها النظرية والتطبيقية ، فمن منظور التلقي يرى **ميشال ريفاتار Michael Riffaterre** في التناص ذلك الإدراك الذي يتمتع به القارئ في تأويله من خلال ربط نص لنصوص أخرى قد سبقته أو عاصرته وهنا يبدو أن القارئ طرفا مميزا في كشف التناص وتوسيع عملية التأويل من خلاله.

3/التناص آداة اجرائية عربية :

يعتبر الشاعر الناقد(("محمد بنيس" أول من نقل مصطلح التناص إلى اللغة العربية من خلال كتابه : ظاهرة الشعر المعاصر في الغرب دراسة بنيوية تكونية عام 1979))[2] وقد ترجمه آنا ذاك بمصطلح آخر وهو النص الغائب وهو المرادف لمصطلح التناص ، ثم عاد لنا **محمد بنيس** سنة 1988 واستعمل مصطلحا آخر للتناص في كتابه : حداثة السؤال ، تحت ما يسمى بهجرة النصوص ، كما استعمل عام 1989 مصطلح تداخل النصوص في كتابة الشعر العربي الحديث ، بنياته ، وابدالاته.

---

[1] ليون سومفي ، التناصية والنقد الجديد ، تر، وائل بركات ، مقال ضمن مجلة علامات ، ع أيلول ، 1996 ، ص 236

[2] مارك انجينو ، في أصول الخطاب النقدي الجديد ، تر : احمد المديني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1987 ، ص 346-347.

ومن الطبيعي أن يظهر تفاعل **محمد بنيس** مع ماراحت إليه كريستفا كونه المهتم بما يدور

حول التناص وغير بعيد عن هذا الناقد نجد الدكتور **محمد مفتاح** في كتابه الشهير " تحليل الخطاب الشعري ، إستراتيجية التناص" وقد توسع فيه توسعا واضحا في تحديد المصطلح ودراساته وتجلياته وقد عرفه بأنه : ذلك التراكم الذي يشهده النص عبر تعالقه مع نصوص أخرى .

ومن الطبيعي أن يقف المصطلح عند أهم مفهوم كونه ذلك التفاعل أو التتشارك بين النصوص ، وعليه تبقى صيغته الحالية في لغته الأم **intertextualité** ، والتي تعني التواجد اللغوي لنص في نص آخر أي جعل النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى .

لزاما علينا أن نشير بأن المصطلح دخيل على الثقافة العربية غير أننا نجد جذوره في النقد القديم ، عندما يرفع الشعر في سوق عكاظ ، ويتبادل الشعراء التهم بالانتحال والسرقات الشعرية ، أما اليوم فبات التناص من أهم معالم التحليل والممارسة النقدية حتى أن هناك من بالغ في الاهتمام به فجعله **محمد مفتاح** : بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان فلا حياة له بدونها ولا عيشة له خارجها عن الشاعر يتحدث ، لم يكن التناص وليد الصدفة ، بل توجد آليات تحكمه تلك التي رصدها **ابن رشيق** سابقا ، وأقرها المعاصرون على النحو ما يسمى **بالتمطيط والإيجاز** ، ويمكن ترجمة ذلك في هذه الترسيمة :

التناص : **1- التمطيط ←← الشرح←← الاستعارة -التكرار←←**

2- الإيجاز

ليس من المبالغة في شيء عندما نركز على أهمية التناص في العملية الإبداعية ونظرا لهذه الأهمية أردنا أن نتبين أنواعه فيما يلي .

4/أنواعه : يسعى كل مبدع وناقد لكشف تلك العبارات النصية التي تدعم الطلبة بين نص متقدم وآخر متأخر ويحكم هذه التناصات عديد الأنواع وقد نبه إليها **جيرار جنيت** في تطبيقه لهذه الأنواع وجعلها خمسة رئيسية :

1- **التناص الاستشهاد :** وهو حضور نص في آخر للإستشهاد به .
2- **المناص :** وهو حضور العناوين والعناوين الفرعية والمقدمات و الذيول وكلمات الناشر.
3- **الميتناص :** وهو علاقة تربط نص بأخر دون أن يذكره .
4- **النص اللاحق :** ويكمن في العلاقة التي تجمع النص الأخر بالنص الأول ، وهي علاقة تحويل أو محاكاة.
5- **معمارية النص :** وهو الشكل الكلي، والذي يأخذ طابعا مناصيا طابع مجرد للجنس الأدبي سواء شعر أو رواية ، وقبل **جيرار جنيت** قد تحدث مطولا عن هذه الخاصية **ابن رشيق والحاتمي** وأثبتوا دورها في عملية الإبداع الأدبي.

تثمر الدراسات الجادة في كتاب **العمدة لابن رشيق القيرواني** على اكتشاف مفهوم التناص وأهميته ومدى التقارب بين ما ذهب إليه **ابن رشيق** وما ذهبت إليه **كريستفا وجنيت** . وهو شيء لا يقدر أن يدعي المبدع السلامة منه وقد اتخذ مسميات عدة عنده ((الاجتلاب ، الانتحال ، والاهتدام ، والإعارة ، والمرافدة ، والإستلحاق))[1] وكلها قريبة للمصطلح. وغير بعيد عن **ابن رشيق القيرواني** نجد **عبد القاهر الجرجاني** الذي جعل المصطلح بمعنى ((الاستمداد والاستعانة والاتفاق في الأخذ))[2]

وعليه يعتبر التناص عند الغربيين ذلك التناص الذي عرفه العرب وشرحه **ابن رشيق في عمدته وأبو هلال في سر الصناعتين وعبد القاهر الجرجاني في أسراره** ، ومن هنا كان التناص تشكيل نص جديد من نصوص سابقة وخلاصة نصوص تماهت فيما بينها فلم يبق منها إلا الأثر.

---

[1] ابن رشيق القيرواني المسيلي المسدي : العمدة في محاسن الشعر آدابه ونقده ، حققه : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص280.

[2] عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، تعليق : محمود شاكر ، دار المدني ، جدة للنشر ، ص338

يبحث المحلل دائما في نص من نصوص المبدع على أهم ما يمكن أن يقف عنده ، سواء ممارسته نقدية تطبيقية أو ممارسة نقدية نظرية ، ولتبسيط البحث عن أشكال التناص ارتأينا أن نجملها فيما يلي :

5/أشكال التناص : للتناص أشكال متعددة:

1- **التناص الاقتباسي (الاجتراري)** : يقصد به استحضار بعض النصوص الشعرية أو النثرية بهدف اغناء التجربة الجديدة وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

1-1- ← تناص اقتباسي كامل

2-1- ← تناص اقتباسي كامل محور

3-1- ← **تناص اقتباسي جزئي**

2- **التناص الإشاري** ، استحضار الشاعر نصا أيا كان مصدره أو نوعه ويلجأ فيه الشاعر للتلميح.

3- **التناص الامتصاصي** : يدور حول فكرة ،استلهم الشاعر مضمونها من نص سابق ، ويعيد صياغتها بعدما امتصها من نص آخر في نصه الجديد.

4- **التناص الأسلوبي** : عملية استعادة النصوص القديمة في شكل خفي أو ظاهر أحيانا [1]

6/مصادر التناص :

يستمد التناص مواده التناصية من موارد مختلفة ومتباينة ، وهو ما يتشكل عفوا أو عمدا في الذاكرة وقد أسماها **محمد مفتاح** ((المخزون الشخصي الواعي واللاواعي ومنها يتشكل بفعل معايشة ظروف حوارية معنية ، ومنها ما يتشكل عن طريق ما يطلبه الشاعر في صورة قصدية .....تتراوح المصادر بين ما كان يعرفه الأشخاص من تراثهم القديم ويختزنونه في عقولهم وبين ما يتشكل في عقولهم نتيجة انفتاحهم على ثقافات جديدة وسعة اطلاعهم ، وتعايشهم مع بعض))[2]

---

[1] ايناس نعمان اذريع ، التناص في شعر علي الخليلي ، دراسة احصائية تحليلية ، اشراف الاستاذ الدكتور : ابراهيم نمر ، موسى ، بحث مقدم لنيل درجة الماجيستير ، جامعة بيروت ، 2016-2017 ، ص4-5.

[2] المرجع نفسه ، ص06

لقد لخص الناقد العلم **محمد مفتاح** الأشكال في قسمين أساسين وهما : ((التناص الضروري ، والتناص الاختياري ، أما عن التناص الأول فهو ضرورة ، لأن التأثير يكاد يكون طبيعيا بين المبدعين فالوقفة الطللية وغرض الغزل ، أقوى المصادر القديمة التي التزم بها الشعراء في صناعة الشعر العربي القديم ، أما الثاني فهو اختياري يشير إلى ما يطلبه الشاعر عمدا من نصوص مزامنة أو سابقة له في ثقافته أو خارجها))[1] وهنا يمكن دور المحاكاة سواء من السابقين أو المعاصرين .

7/وظائف التناص:

يشتغل التناص على تأكيد وظائف أساسية تحدث عنها ((موسى ربايعة وهي ثلاثة :
- التأكيد على عمومية الموضوعات التي يتناولها النص من خلال تقاطعه مع نصوص أخرى – إعادة قراءة النصوص المقتبسة في ضوء النص الجديد الراهن – التعبير عن إيديولوجيا سارد وموقفه من الواقع والأحداث وتعليقه عليها من خلال وضع نصوص محددة في سياقها الجديد))[2]

رغم تعدد هذه الوظائف إلا أنها تشكل القاسم المشترك فيما بينها لتشكل النص الذي أشارت إلى تناصه **كريستيفا** بقولها : ((النص ترحال للنصوص وتداخل نص في فضاء نص معين تتقاطع فيه ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى))[3]

وبعد كل ما ينصهر في النص من نصوص أخرى ، يتعين على القارئ أو المحلل البحث عن النصوص الغائبة في النص المراد تحليله لكن من الاستحالة بمكان أن يحيط بكل النصوص الغائبة داخل النص المحلل ، ليبقى هذا النص أولا وأخرا يعانق البحث والتنقيب عن النصوص المشتركة ليتجاوز كل ماهو سطحي .

---

[1] ينظر : محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، المركز الثقافي ، دار البيضاء ، ط2 ، 1986، ص122
[2] ايناس نعمان اذريع ، التناص في شعر علي الخليلي ، ص07
[3] جوليا كريستيفا : علم النص ، تر: فريد الزاهي ، دارتو بقال ، الدار البيضاء ، 1997 ،ص 21.

8/أهمية التناص :

ظهر التناص بصورته الأولوية في كتابات الروسي **"باختين"** وقد أكد على معطى الحوارية بين النصوص وقد اعتبر **باختين "آدم عليه السلام"** الوحيد الذي اتسمت خطاباته بالصفاء والعذرية ، والخلو من أي اقتباس وتتجلى أهمية التناص فيما يلي :

- اظهار مواطن الإبداع في النص الأدبي وذلك باستحضار النصوص الغائبة والمبددة في ثنايا النص الحاضر.
- اظهار مواطن التفاعل وتداخل النصوص في النص الواحد .
- تكمن أهمية التناص في إضاءته لنصوص أدبية غائبة في نصوص أدبية حاضرة .
- القيمة العلمية للتناص في حد ذاته [1]

وبناء على أهمية التناص ارتأينا أن نخصص جانبا تطبيقيا في شعر" **أمل دنقل"** وتحديدا استخدامه للتناص التاريخي واستدعائه للشخصيات التراثية .

****استدعاء الشخصيات التراثية في شعر أمل دنقل :**

***التعريف بالشاعر** : أمل دنقل شاعر عربي مصري ، من أسرة صعيدية ولد عام 1940 ، بقرية القلعة ، توفي سنة 1983 عن عمر ناهز 43 سنة اسمه بالكامل محمد فهيم أبو القاسم محارب أمل دنقل وقد كان والده عالما من علماء الأزهر الشريف ، مما أثر في شخصية أمل وفي قصائده بشكل واضح ،ورث أمل عن أبيه الشعر ومكتبة ضخمة تضم كتب الفقه والشريعة والتفسير ، فقد أمل والده وهو في العاشرة من عمره، وأثر ذلك عليه وأكسبه

[1] للاستزادة ينظر : صبرينة دالي : إستراتيجية التناص عند نهلة فيصل الأحمد ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، تحت إشراف د . مفتاح خلوف ، قسم اللغة والآداب العربي ، جامعة المسيلة ، 2015.2016

مسحة من الحزن ، استوحى أمل نقل قصائده من رموز التراث العربي ، وقد كان السائد في ذلك الوقت **التأثر بالميثولوجيا الغربية ، اليونانية على وجه الخصوص** ، عاش أمل الثورة وصدم بانكسار مصر عام 1967 وعبر عن صدمته في" **البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " ومجموعته " تعليق على ما حدث " وكتب قصيدته " لا تصالح "** نستلهم روح التراث من شعره ، فهو من كتب أقوال جديدة عن حرب بسوس [1]

أصيب **أمل** بالسرطان مما عجل في وفاته ، وعانى منه لمدة تقرب من ثلاث سنوات ، وقد كتب آنذاك **" أوراق الغرفة 8 "** لم يستطيع السرطان أن يحول دون الكتابة الشعرية فقد وصفه **أحمد عبد المعطي حجاز**ي بأنه " صراع بين متكافئين ، الموت والشعر " .

البكاء بين يدي زرقاء اليمامة

أيتها العرافة المقدسة

جئت إليك .....مثخنا بالطعنات والدماء

أزحف في معاطف القتلى ،و فوق الجثث المكدسة

منكسر السيف، مغبر الجبين والأعضاء

أسأل يا زرقاء

قصيدة مطولة قصد فيها **"أمل دنقل"** استلهام التراث بكل رموزه ، ولعل أهمها " **زرقاء اليمامة** " التي جعلها عنوانا لقصيدته كانت **زرقاء اليمامة** من الأساطير التي استدعاها أمل في بنائه الشعري ((وهي كما قيل عنها: امرأة من بني جديس ، من أهل اليمامة ، ضرب بها المثل في حدة البصر كانت تبصر الأعداء من بعد ثلاثة أيام ، وتحذر قومها للاستعداد))[2] ، وقد وصفها علي عشري زايد بأنها ((رمز أسطوري

[1] ينظر : حسن الغرفي : أمل دنقل : من التجربة والموقف ، مطابع افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1985
[2] علي البطل : الصورة الفنية في الشعر العربي ، دار حراء ، القاهرة ، ط2 ، 1981 ، ص49

يعكس القدرة على التنبؤ واكتشاف الخط قبل وقوعه و تحمل نتيجة عدم الإصغاء إلى تحذيراتها))[1]

وقد جاء توظيف الرمز التراثي العريق **" زرقاء اليمامة "** في هذه القصيدة **توظيفا جوهريا** ، يحمل رسالة تحذيرية ، رغبة من الشاعر **أمل دنقل** في أن تكون كلماته مبصرة للجماعة التي وافقت على خيانة مصر ، وقد صدقت ما قيل لها ، فأغمضت عينيها عن الواقع المؤلم الذي يعاني منه أبناء مصر ، وحتى العنوان نفسه يعكس البكاء والندم على ما فات لأنهم لم يصدقوا قول الحق ؛هي **محاولة لاستقراء المستقبل في عيون زرقاء اليمامة بضوء الحقيقة** .

****الرمز التراثي في القصيدة :**

لقد أسهم الرمز التراثي **" زرقاء اليمامة "** ايما اسهام في شدنا لقراءة القصيدة وتتبع استشرافها للمستقبل ، عمل **أمل دنقل** جاهدا على احتواء الأوضاع الراهنة في مصر شعريا ، فكان القلم المرفوع في وجه العدو ، فكان المحارب الصنديد بالكلمة يعتبر **أمل دنقل** ((شاعرا أدرك بوعي التناقض العميق الذي يعيشه الواقع العربي، لذا فقد لعب دورا محوريا في تمثيل الضمير القومي ، حتى لقب ب أمير الرفض السياسي فقد أجمع النقاد تفرده ولاسيما أولئك الشعراء الذين حققوا نجاحا باهرا في استيعاب الرموز التراثية والتعبير من خلالها عن الرؤى الخاصة بهم مما عمل على استنطاق الرمز التراثي ونظر إليه من زاوية الفعل المعاصر))[2]

اختار **أمل " زرقاء اليمامة "** ليعبر عن نقده الجارح لسلطة عبد الناصر جمال إثر نكسة مصر، وهو بذلك يوجه كل الاتهام للأنظمة العربية التي تسببت في الهزيمة، وعليه شكلت القصيدة مثالا حيا للرفض وتحديدا رفض الواقع العربي.

القصيدة من بحر الرجز ، وهو أنسب بحر للحزن واليأس ونقل الألم ،يتكرر صوت الأنا المسلوبة أمام صوت الحكومات العربية التي تمارس القمع والاضطهاد لشعوبها.

---

[1] عشوي زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، دار الفني العربي ، القاهرة ، 1997 ، ص180

[2] ورقاء يحي قاسم المعاضدي : الرمز التراثي في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ، مجلة التربية والعلم ، ع1 ، 2010، جامعة الموصل

هكذا تصالح أمل مع قضيته ، وكشف لنا عن حالة الشعوب العربية عامة ،والشعب المصري خاصة .لذلك لم يكن اختياره جزافيا بقدر ما كان إبداعيا بكل أبعاده التراثية والأسطورية وما حمله من أبعاد فكرية ونفسية.